الفصل الأول

التنمية الريفية

تشغل قضية التنمية الريفية بال كثير من العاملين مع الأفراد والجماعات والمجتمعات فى كثير من بلدان العالم الثالث . فلقد تعاظم التعامل مع مجالات وأبعاد وبرامج التنمية فى النصف قرن الأخير ، فلم يعد يخلو بلد سواء كان صناعيًّا متقدمًا أو ريفيًّا ناميًا – من الدخول فى هذه المجالات من أحد أبوابه وهى كثيرة .

ومحاولة الدخول إلى مجالات التنمية الريفية . تتأرجح دائما بين اتجاه نظرى حين التعامل مع مفهوم التنمية ومؤشراتها ، واتجاه عملى تطبيقى يظهر حين تفحص الحالات الميدانية والنماذج العملية ، وممارسات المدرسة فى التنمية الريفية ، وحين إيراد مشروع نموذج للتنمية المتكاملة ، وكذلك حين الإشارة إلى دور المرأة فى التنمية .. إلخ .

وتركز الدراسة الحالية اهتمامها الأساسى على تنمية الريف المصرى من خلال التعليم الثانوى هدفًا ومحتوى ، فإن جزءاً كبيرًا منها قد ولى وجهه شطر ريف مصر بغية المساهمة فى النهوض به . وإذا كانت بعض أجزاء الدراسة قد جاءت نظرية تتعلق بالريف والحضر معًا ، فإن الكثير منها قد عولج بالكامل فى وعاء الريف المصرى ، كما أن معظمها ، كان ريف مصر هو مجال تطبيقه الأول .

التنمية المتكاملة

يزخر مجتمعنا المصرى بكثير من المشكلات والتى ضمنها مشكلات ضآلة التنسيق الكامل ، وخصوصًا فيما قبل الخمسينات من هذا القرن . فلقد عاش شعبنا طويلا - (ربما لظروف قاهرة وخارجة عن إرادته أحيانا) - سهبا للارتجال والحلول الجزئية التى عانى ومازال يعانى من نتائجها وبسببها الكثير . إن مشكلة المشاكل هنا هى حين نجد الجهود كبيرة ومكثفة فى بعض الأحيان ، ولكنها بلا ضابط أو رابط ، وغالبًا ما تكون متفرقة ومشتتة ولا تنسيق بينها ، وبالتالى لا ينتظر منها تكاملا فى كثير من تلك الأحيان .

إن طريق الخروج لا يكمن فى تدعيم التخطيط فقط الذى أخذت به الدولة منذ الستينات من هذا القرن بإنشاء معهد التخطيط القومى ووزارة التخطيط وأجهزة التخطيط المتعددة ، بل التخطيط المتكامل ، والمنهج التكاملى الذى يراعى التنسيق

والتكامل فى كل اتجاه . إن التنسيق Coordination إنما يعنى ترتيب وتنظيم الأجزاء والربط بينها - طولا وعرضاً وعمقًا - فى كل متكامل ، ثم إن التكامل Integration هو النظر إلى هذه الجزئيات نظرة شمولية كنسيج متشابك فى لحمه وسداه .

وقد وضح من الدراسات إدراك التنمية باعتبارها خلق فرص حياة جديدة ومرغوبة لبعض الناس فى مجتمع ما ، دون نقصها من بعض آخر فى نفس الوقت وفى نفس المجتمع . والتعريف ينظر إلى عملية التنمية فى كلية شاملة بمعنى أنه على المنمى التحرك بالمجتمع قدمًا إلى الأمام ككتلة واحدة وكل متكامل لا انفصال بين أجزائه ، إن الاتجاه التكاملى هو سمة العصر فى كل اتجاه والتى ضمنها الاتجاه إلى التنمية .

مفهوم التنمية ومؤشراتها

المفهوم :

إن التنمية Development لفظ شاع استعماله بكثرة فى الآونة الأخيرة فى الدول الزراعية والمتخلفة . ففى الوقت الذى يتناوله بعض المفكرين من زاوية تغلب عليها النظرية بأنه التغير الاجتماعىSocial Change الذى تقدم من خلاله أفكار جديدة فى النسق الاجتماعى Social System بهدف تطوير وتحسين أحوال الناس وتوفير الخير الاجتماعىSocial well being لهم بفضل بعض

المشتغلين فى الحقل الاجتماعى ، تعريفه من زاوية أكثر عملية بأنه تلك العمليات التى تبذل بقصد ، ووفق سياسة عامة لإحداث تطور اجتماعى واقتصادى وسياسى للناس فى بيئاتهم Environments ، وذلك بالاعتماد أساسًا على الجهود الأهلية والحكومية المنسقة والمتكاملة ، على أن تكتسب كل منها قدرة أكبر فى مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات .

وقد نحت هيئة الأمم المتحدة نحواً عمليًّا حين عرفت التنمية (١٩٥٥) بأنها العملية المرسومة لتقدم المجتمع جميعه اقتصاديًّا واجتماعيًّا معتمدًا أكبر اعتماد ممكن على مساهمة المجتمعات المحلية ومبادأتها . ثم أضافت الهيئة (١٩٥٦) أن التنمية هى العمليات التى يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الاندماج فى حياة الأمة والمساهمة فى تقدمها بأكبر قدر مستطاع . إن الأمم المتحدة فى تعريفها الأول للتنمية قد قدمت مساهمة الحكومة على جهود الأهالى فى حين عادت فى التعريف الثانى لتقدم جهود الأهالى على جهود الحكومة فى هذا الصدد . إن القضية هنا ليست فى تقديم أو تأخير بل هى قضية تنسيق Coordination وتكامل Integration وهذا فى الواقع هو ما ينقص كثير من الجهود المبذولة فى المجتمعات والدول السامية . ومن ناحية أخرى ، فإنه إذا كانت الهيئة قد ركزت فى عمليات التنمية وأهدافها على النهوض

بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى تعريفها الأول ، ثم عادت وأضافت إلى هذين البعدين بعدًا ثالثًا وهو الأحوال الثقافية ، فإن كلا من التعريفين قد تجاهل - بطريق - مباشر - البعد السياسى - برغم تضمينه فى البعدين الاجتماعى والثقافى - كبعد قائم بذاته له آثاره الهامة فى تنمية وتطور وتقدم الأمم والشعوب .

وهناك ثمة اتجاهات حديثة تنظر إلى التنمية من زاوية الآثار المترتبة عليها فيعرف Oberle,W وزملاؤه التنمية بأنها العملية التى ينتج عنها زيادة فى فرص حياة Life Chances بعض الناس فى مجتمع ما دون نقصان فرص حياة بالنسبة لبعض آخر فى المجتمع نفسه ، وفى الوقت نفسه . إن التنمية بهذا المعنى تعنى القياس الرقمى وميزان المكسب والخسارة ، وما يجنى أو ما يخرج (ما ينتج) Output فى مقابل ما ينفق (ما يدخل) Input وهذا هو الاتجاه الأكثر شيوعًا فى الفكر التنموى الحديث وهو فى الوقت نفسه ، المعنى الذى تأخذ به وتركز عليه الدراسات الحديثة ، ولقد لقى هذا الاتجاه الكمى الكيفى النزعة قبولا لدى جمهرة المخططين والتنمويين فى بقاع كثيرة من العالم ، فراحوا يصممون له المقاييس ويحسبون له الحسابات التى تنبئ فى النهاية عن نجاح نوع ما من التنمية أو فشله . فإن عدداً من هؤلاء المفكرين راح يضع تصوراته لكيف ونوع الحياة اللائقة المناسبة ، ويركز على مقاييس ذلك الخير وتلك الرفاهية الاجتماعيين المرادين .

المؤشرات :

لقيت مقاييس التنمية ومؤشراتها Indicators جهدًا كبيرًا من العاملين فى مجال التخطيط التنموى فراح هؤلاء يحللون عملية التنمية بدقة وتركيز للوقوف على كلياتها وجزئياتها والخروج بمقاييس ومؤشرات يمكن الاستعانة بها فى مجالات التنمية فى كثير من دول العالم متقدمة ومتخلفة .

ومقاييس التنمية ومؤشراتها كثيرة ومتنوعة فى تفصيلها ، إنهم جميعًا يتفقون على أن يكون الهدف النهائى للتنمية ، هو توفير الحياة الكريمة للمواطنين وكفالة الخير والرفاهية الاجتماعية لهم جميعًا ، وإن كانوا يختلفون - بشكل لا يضر أصلا بقضية التنمية - فى تحديد أبعاد هذه الحياة الكريمة وهذا الخير وتلك الرفاهية الاجتماعية . فعلى سبيل المثال يرى Wilkinson,k أن التنمية Development والنمو Growthصنوان ، وأن لهذه التنمية والنمو مؤشرات Indicators أو أبعاد Dimensions ثلاثة لكى تؤتى ثمارها :

١ - البعد الاقتصادى الفنى Economic-Technical للنمو .

٢ - بعد العلاقات الإنسانية المتبادلة

Human-Interpersonal للنمو .

٣ - بعد نوعية وجودة البيئة Environmental Quality .

أما بعد تطور ونمو جودة البيئة فيتضمن الإبقاء على البيئة Environment نظيفة فى الوقت الذى تستمر فيه تنمية البعدين الأول والثانى المتقدمين .

أما هيئة حماية البيئة بالولايات المتحدة الأمريكية The Environmental Protection Agency of the U S A فقد حددت ست عوامل ومؤشرات للوقوف على الرفاهية الاجتماعية : Social Welfare هى :

١ – البيئة الاقتصادية	Economic Environment
٢ – البيئة السياسية	Political Environment
٣ – البيئة المادية	Physical Environment
٤ – البيئة الاجتماعية	Social Environment
٥ – البيئة الصحية	Health Environment
٦ – البيئة الطبيعية	Natural Environment

إن نمواً موجبًا فى أى من هذه الأبعاد المجملة أو فيها مجتمعة (ودون ما نقص أو نمو سالب فى أى جزء منها) ، إنما يمثل تنمية . وعلى العكس فإن أى انكماش أو انخفاض فيها جميعًا أو فى أى منها ، إنما يمثل تخلفًا .

وانطلاقاً من هذه الأبعاد الستة العامة ، فإن واحدًا مثل Flax.M. يحدد عشرة مؤشرات أساسية ، بالإضافة إلى أربعة أخرى فرعية لقياس جودة الحياة Quality of life ومناسبتها على الوجه الآتى :

(أ) مؤشرات أساسية :

مؤشرات جودة الحياة	مقاييسها
١ - البطالة	النسبة المئوية للبطالة Unemployment
٢ - الفقر	النسبة المئوية للأسر ذات الدخل تحت متوسط الدخل العام Poverty Line
٣ - الدخل	الدخل الفردى النقدى مقاسًا إلى الاختلافات الحادثة فى تكاليف مستوى المعيشة Income .
٤ - الإسكان	تكاليف إيجار المسكن للأسرة متوسطة الدخل من أربعة أفراد Rent
٥ - الصحة	وفيات الأطفال (سن أصغر من عام) عن كل ألف من المواليد الأحياء Infant Mortality
٦ - الصحة العقلية	حالات الانتحار المبلغ عنها لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان Suicide .

مؤشرات جودة الحياة	مقاييسها
٧ – النظام والأمن العام	حالات السرقة المبلغ عنها لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان Security .
٨ – المساواة العنصرية	نسب المتعطلين بين البيض والسود Equality
٩ – الاهتمام بالمجتمع	نسبة ما يتمتع به المواطنون فى المجتمع من اعتمادات حكومية Proportion
١٠ – مشاركة المواطنين	نسبة الممارسين لحق الانتخاب من بين المقيدين فى جدول الانتخابات Participation .

(ب) مؤشرات تكميلية :

١١ – الوضع التعليمى	متوسط سنوات الدراسة التى قضاها الأفراد البالغون Duration of Ed.
١٢ – المواصـــلات	تكاليف المواصلات بالنسبة لعائلة متوسطة الدخل مكونة من أربعة أفراد Transportation
١٣ – جودة ونقاء الجو	قياس ومقارنة تلوث الجو فى فترات مختلفة Polution

١٤ - اللاتكامل الاجتماعى تقديرات المدمنين للمخدرات فى كل ألف من السكان Narcotics

على أن دراسة شاملة لمؤشرات التنمية ومقاييسها قد قام بها كل من أديلمان وموريس حيث أشارنا إلى إحدى وأربعين مؤشراً Adelman, I. & C. Morris للتنمية متضمنة فى أقسام رئيسية ويمكن إجمالها فيمايلى :

(أ) المؤشرات الاجتماعية الثقافية: **Sociocultural Indicators**

١ - حجم القطاع الريفى التقليدى Rural Volume
٢ - مدى انتشار الثنائية Dualism
٣ - مدى انتشار التحضر Urbanization
٤ - صفات التنظيم الاجتماعى والأساسى Traits
٥ - أهمية الطبقة الوسطى Middle Class
٦ - مدى انتشار الحراك الاجتماعى Social Mobility
٧ - مدى انتشار التعليم Education
٨ - مدى انتشار وسائل الاتصال Communication
٩ - درجة الانسجام العنصرى والثقافى Harmony
١٠ - درجة التوتر الاجتماعى Social Tension
١١ - نسبة الخصوبة (السكانية) Fertility
١٢ - درجة التمدن فى النظر إلى الحاضر والمستقبل

(ب) المؤشرات السياسية : Political indicators

١٣ – درجة التكامل الوطنى والإحساس بالوحدة القومية Belonging

١٤ – مدى تركز القوى السياسية Power

١٥ – قوة المؤسسات الديمقراطية Indigenous Control

١٦ – درجة حرية المعارضة السياسية والصحافة Opposition

١٧ – درجة تنافس الأحزاب السياسية Competence

١٨ – الأسس والفلسفة التى تقوم عليها الأحزاب السياسية Ideology

١٩ – قوة وتأثير الحركات العماليةLabour Unions

٢٠ – قوة وتأثير الصفوة Impact, F. Elite

٢١ – قوة العسكريين وتأثيرهم السياسى Militant Power

٢٢ – درجة كفاءة التنظيم Adminstration (فى الدولة)

٢٣ – مدى تقبل القادة للتنمية الاقتصادية ومساهمتهم فيها Receptivity

٢٤ – مدى الاستقرار السياسى Stability

(جـ) المؤشرات الاقتصادية Ecomomic Indicators :

٢٥ – دخل الفرد من الإنتاج القومى العام Per Capita Income

٢٦ – نسبة نمو دخل الفرد من إجمالى الإنتاج القومى
٢٧ – وفرة الموارد الطبيعية Resources
٢٨ – النسبة الإجمالية للاستثمار القومى Gross Investment
٢٩ – مستوى تقدم الصناعة Industry
٣٠ – درجة التغير التى طرأت على الصناعة (بين فترتين زمنيتين محددتين) .
٣١ – صفات التنظيم الزراعى Organization
٣٢ – مستوى التقدم التكنولوجى فى الزراعة Technology
٣٣ – درجة التحسن التى طرأت على الإنتاج الزراعى (بين فترتين زمنيتين محددتين) .
٣٤ – مستوى كفاية الميزانية النقدية العامة Budget
٣٥ – درجة تحسن الميزانية النقدية العامة (بين فترتين زمنيتين محددتين) .
٣٦ – مستوى كفاءة وفعالية النظام الضريبى Taxes
٣٧ – درجة تطور النظام الضريبى (بين فترتين زمنيتين محددتين) .
٣٨ – درجة كفاءة المؤسسات المالية Financing
٣٩ – درجة تطور المؤسسات المالية (بين فترتين زمنيتين محددتين) .
٤٠ – نسبة التطور فى الموارد لبشرية Human Resources

٤١ – تنظيم التجارة الخارجية (وميزان المدفوعات) Balance

خلاصـــــة :

والخلاصة أن التنمية هى ذلك التغير الاجتماعى الموجب Positive المخطط والمقصود ، والذى يراد به إدخال أفكار جديدة على النسق الاجتماعى Social Systemالقائم لإحداث تغييرات أساسية فى تركيبه Structure بهدف تحسين الحياة وتطورها فى مجتمع ما ، للوصول به إلى خيره ورفاهيته .

ويشترط للوصول إلى التغيرات ، التوازن والتكامل والتعميم ، وليس الاختلال والتجزئة والتخصيص ، بمعنى أنه فى عملية النمو ينبغى أن ينظر إلى المجتمع ككل مترابط ومتكامل ، فلا ينبغى أن يكون التقدم فى أى بعد أو قطاع من أبعاد أو قطاعات التنمية على حساب بعد أو قطاع آخر . ومن هذا المنطلق كان اتفاقًا معOberle وزملائه على أن التنمية هى العملية أو مجموعة العمليات التى ينتج عنها زيادة (مرغوبة به) فى فرص حياة بعض الناس دون نقصان فرص الحياة بالنسبة لبعض آخر فى المجتمع نفسه ، وفى الوقت نفسه .

ولقد حاول كثير من المفكرين تحديد فرص الحياة التى ينبغى أن تنمو فى أى مجتمع لكى تكون التنمية مثمرة ، وكان أن نتج عن هذا

الفكر العديد من العوامل والأبعد التى تصلح جميعها كمؤشرات ومقاييس للتنمية . إنها جميعًا تسير بالتنمية وتقيسها فى أربعة اتجاهات رئيسية محددة هى : البعد الاقتصادى ، والبعد الاجتماعى ، والبعد الثقافى ، والبعد السياسى ، وعلى أية حال ، فإن مؤشرات التنمية الإحدى والأربعين التى جاءتا بها Adelman & Morris تعتبر مقبولة نظريًا ومبدانيًا .

التعليم والتنمية الريفية

يتمثل اهتمام الدولة بالريف فى قوانين الإصلاح الزراعى المعروفة منذ عام ١٩٥٢ وما بعده ، ومشروعات الرى والصرف وإدخال المياه النقية فى قرى مصر والرعاية الصحية وإنشاء السد العالى وزراعة الوادى الجديد ، فضلا عن نشر الجمعيات التعاونية والوحدات المجمعة الريفية ... إلخ .

وقد صاحبت النهضة الحديثة فى جمهورية مصر العربية حركة نشر التعليم ، التى ما لبثت أن غزت الريف فى صورة مدارس مختلفة المستويات ، وأصبحت الآمال معلقة على أن التعليم والمعرفة والمهارة ستؤدى إلى تنوير أهل الريف وتبصيرهم بحيث تجعلهم قادرين على النهوض بشئونهم وشئون مجتمعهم ، وقد أدرك الكثير من المربين والمصلحين فى مصر أن التعليم يمكن أن يحقق الأهداف المعقودة عليه فى النهضة الحاضرة ، ويفيد سكان الريف فائدة ملموسة فى شئون

معاشهم واحتياجاتهم ومشكلاتهم . وكان من البديهى أن اتجهت الأفكار والقرارات إلى إيجاد نوع من التعليم يلائم الحياة الريفية ويؤدى رسالة النهوض والرقى والإصلاح فيه .(١٢)

ولقد أكدت أحدث الأبحاث أنه لا مكان فى الآونة الحاضرة للتعليم النظرى الشكلى الذى يقف بمعزل عن حياة الريفيين ومشكلات مجتمعهم ، وأن الطاقة الكامنة فى التعليم تعتبره قوة هائلة بوسعها إذا استخدمت إلى أقصى حدودها أن تحدث تغييراً ملحوظًا نحو التقدم والرفاهية ويستدعى ذلك أن يبنى التعليم على الدراسة المقرونة بالعمل والنشاط ، والإنتاج والتطلع إلى مستقبل أفضل ، وبهذا فقط تتكون إرادة الإصلاح بين سكان الريف ليرفعوا من مستواهم بأنفسهم . وعلى هذا يكون من الضرورى تشريح وتحليل المجتمع الريفى تحليلا علميًّا دقيقاً بقصد دراسته والانفعال بمشكلاته وحاجاته والعمل على تطويره .

ومن الطبيعى أن تشتق مناهج وطرق العمل فى المؤسسات التعليمية الريفية ، والمؤسسات الخدمية الموازية مهما اختلفت أنواعها ، سواء كانت مدارس للتعليم الأساسى الريفى (ابتدائى وإعدادى مندمجة معاً) أو دور المعلمين والمعلمات ، أو مراكز اجتماعية ريفية ، أو وحدات زراعية بيطرية ، أو وحدات صحية ، أو جمعيات تعاونية زراعية (إنتاجية - استهلاكية - تسويقية) ، أو مراكز للتدريب المهنى الزراعى والريفى ، أو أماكن للعبادة

أو برامج لمحو الأمية وتعليم الكبار ، أن تشتق من ذلك التشريح العلمى لمشكلات البيئة الريفية لمصرية بماضيها وحاضرها وما تتطلع إليه من أهداف وآمال .. مع رؤية مستقبلية باهرة .

وأن نظرة إلى بعض الإحصاءات التى أصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى مصر والتى تصدر كل عامين لتؤكد أهمية الريف وإمكانيات أهله ومؤسساته (إحصاء ١٩٧٩) (١٣) .

فالإنتاج الزراعى يمثل ٣٧ ٪ من الإنتاج القومى ، وسكان ريف مصر يمثلون ٥٨ ٪ من السكان وهم يعملون فى زراعة ٦ مليون فدان ، وينتشرون فى ٤٠٦٦ قرية ، وقد أضيف إلى هذه المساحة ٩١٥ ألف فدان استصلحت فيما بين عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٧٨ إلا أن المبانى قد زحفت فى تلك المدة نفسها وغطت ٨٠٠ ألف فدان كانت أصلا أراض زراعية ، وقد وزعت الثورة المصرية منذ عام ١٩٥٢ أكثر من مليون فدان من المساحة المزروعة على الفلاحين المعدمين ، وبذلك أصبحوا أصحاب مصلحة حقيقة فى ريفهم ، وأصبح بذلك عدد ملاك الأراضى ٣,٣٦٠,٠٠٠ ثلاثة مليون وثلاثمائة وستون ألف مالك . ودخلت المياه النقية أكثر من ٧٠ ٪ من قرى مصر كما دخلت الكهرباء من ٦٥ ٪ من ريف مصر .

ومما هو جدير بالذكر أن ٤٥ من قوة العمل فى مصر تعمل بالزراعة .

وينتشر فى الريف المصرى ما يزيد على ٨٠٠٠ ثمانية آلاف

مدرسة ابتدائية وإعدادية ودور للمعلمين والمعلمات ، ومدارس ثانوية زراعية وثانوية عامة ذات مجالات عملية (اقتصاد منزلى – مجالات زراعية) ، تعمل فى بطون الريف من أدناه إلى أقصاه .

ويوجد فى الريف المصرى ما يزيد على ٣٠٠ مركز اجتماعى ريفى ، وما يزيد على ٢٥٠ وحدة مجمعة ريفية متكاملة الخدمات ، وأكثر من ٥٠٣٦ جمعية تعاونية زراعية ، ومئات من الحقول الإرشادية وما يزيد على ٣٠٠ وحدة صحية ، وبالاستخدام الرشيد لتلك المؤسسات على أساس التنسيق والتعبئة ووحدة الهدف ، يمكن للإعلام والتثقيف والتعليم والتدريب أن يسهم مساهمة حيوية فى حل مشكلات الريف الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية ، وفيما يلى بعض الأمثلة لما استطاعت المؤسسات الريفية عمله لتحقيق الهدف .

فمن الناحية الاقتصادية نحن فى حاجة إلى زيادة الإنتاج وتعظيمه ، ولا يمكن للتعليم أن يقف بمعزل عن تلك المشكلة . ففى معظم المدارس الريفية توجد مزارع يشارك الطلبة والأساتذة والقرويون بأنفسهم فى إدارتها ، وتجرى فيها التجارب على أفضل البذور وطرق الزراعة والتسميد ومكافحة الآفات والحشرات . ويقاس مدى نجاحها بمدى انتشار ما تصل إليه من نتائج إلى القرويين ، ويدعى الريفيون بانتظام إلى الوحدات المجمعة والمدارس الثانوية الزراعية ليقارنوا بين طرقهم التقليدية والطرق

الحديثة المحسنة .. ، ويجرى تطبيق المبدأ نفسه على التصنيع الغذائى ومنتجات الألبان وتربية الدواجن والنحل ودود القز . وليس ذلك بغريب لأن بعض المدارس فى لبلاد الأخرى كالفلبين ، وبورما ، وباكستان ، تفحص عينات لتربة للفلاحين مجاناً وتوزع عليهم الشتلات وصغار الدواجن المنتقلة ، وتصلح أراضيهم البور ، وتنشر بينهم الصناعات البيئية الريفية المحسنة . وتدار المدارس الثانوية الزراعية المصرية كوحدات إنتاجية تدر الربح على طلابها والمشرفين من المدرسين بوزارة التربية والتعليم ، كما سنفصل فيما بعد فيما يسمى مشروع رأس المال الدائم فضلا عما تؤديه من إرشاد وتوجيه لأهل الريف .

أما من الناحية الاجتماعية (١٥) فتقوم المؤسسات المتواجدة فى الريف بدور فعال فى مشكلة ذات خطورة وهى التزايد المستمر فى عدد السكان ، ففى حين زادت الأرض الزراعية على مدى أقل من قرن بمقدار الـ ٥/١ الخمس (من ٥ مليون إلى ٦ مليون فدان) ، وازدادت مساحة المحاصيل الزراعية بمقدار الضعف ، نجد أن الزيادة فى السكان بلغت أربعة أمثالها (من ١٢ مليون إلى أكثر من ٤٥ مليون نسمة) .

وتبلغ الزيادة السكانية مليون طفل كل عشرة شهور ، والمشكلة السكانية فى الريف أخطر ، لأن متوسط حجم الأسرة فى الريف أكبر منه عن المدينة ، وتنشر المؤسسات الريفية ووحدات تنظيم

الأسرة بين أهل الريف ، الوعى بمشكلة الزيادة السكانية وأبعادها وخطورتها والدعوة إلى تحديد النسل ، ورفع الحد الأدنى لسن الزواج بين الفتيات ، والدعوة إلى مكافحة الخرافات والبدع التى تعوق تقدم المجتمع الريفى ، والتى لازال للبعض منها السيطرة على سلوكيات بعض أهل الريف ، كوضع التمائم والإيمان بالبخت والزار وزيارة الأضرحة ، والتخوف من الذهاب للأطباء والمستشفيات إلا عند الضرورة القصوى ، وكان لابد من إرجاع تلك العادات عند دراستها إلى أصولها التاريخية ومحاربتها بالتعليم والتدريب والإرشاد والتوجيه ، وفرق بين محاربة تقليد عريق أصيل وبين تقليد حديث وافد كلاهما يعوق نمو المجتمع فمحاربة الأول أصعب من محاربة الثانى .

وترتبط دراسة المجتمع الريفى بإحياء تاريخ مصر القديم والوسيط والمعاصر وتحقيق التراث ، بحيث يستمد أهل الريف صانعو مصر القديمة والحديثة قوة دافعة تعينهم على مواجهة مشكلات المجتمع الريفى المعاصر ، والتطلع بثقة إلى مستقبل أفضل ، وليس ذلك ببعيد ، فإن انتقال الدانمارك من دولة زراعية متخلفة إلى دولة متقدمة ذات مستوى رفيع من المعيشة يرجع إلى مدارسها الريفيةFolk Schools ، أى المدارس الشعبية التى تسير على أساس تعاونى ومحور العمل بها هو إحياء العزة القوية وتربية إرادة الإصلاح بين أهل الريف ، وتدعو المؤسسات الريفية إلى

التعاون وتنشيط الحركة التعاونية ، ولا سبيل إلى تعليم حياة التعاون وأساليبه بين أهل الريف المصرى إلا بالممارسة العملية فى أكثر من ٥٠٣٦ جمعية تعاونية زراعية يتدربون فيها على المهارات والخبرات التعاونية وأمامنا أمثلة كثيرة من إنجلترا والبلاد الإسكلندنافية تدل على مدى تقدم تلك الأمم عن طريق الحركة التعاونية والريفية خاصة .

ولم تقف مؤسسات التعليم الريفية فى مصر بمعزل عن مشكلة الأمية فليس من دواعى الفخر أن تزيد الأمية فى مصر كلها عن ٥٢ ٪ وهى منتشرة فى الريف أكثر من المدينة وفى الإناث أكثر من الذكور ، وتعامل الأمية على أساس اتساع مفهومها ، فمحو الأمية لم يصبح قاصرًا على تعليم القراءة والكتابة والحساب ، بل إن البرامج الحالية تغطى الأمية الاقتصادية والصحية والدينية والسياسية والاجتماعية ، وتتعاون فى ذلك الصحافة والإذاعة والتليفزيون ومراكز محو الأمية التابعة للمديريات التعليمية ، وتستمد مناهج وكتب وبرامج محو الأمية مادتها وطريقتها من الحياة اليومية للريف وما يعانيه من مشكلات حيوية ، ومن تراثه ، ومؤدية إلى إدراكه لتلك المشكلات والترجيه إلى اختيارات وبدائل العلاج .

أما من الناحية الصحية فقد استطاعت المؤسسات الريفية أن تقوم بدور غير قليل فى رفع لمستوى الصحى لبعض الطلاب والريفيين الكبار فى بعض القرى مما أتاح لهم التعاون فى مشروعات

بناءة فى ردم البرك والمستنقعات فى قراهم ورش مادة الـ (د ، د ، ت) فى منازلهم ، وتعاون الطلبة مع أهل القرية فى عدد محدود من القرى فى تنظيفها ، وإنارة بعض القرى بالمجهودات الذاتية ، إلا أن الدولة أدخلت بالتعاون مع جهود الأفراد الكهرباء فى ٦٥ ٪ من قرى مصر ، وأدخلت المياه النقية فى أكثر من ٧٠ ٪ من قرى مصر ، ولم يكن ذلك عسيرًا جدًّا إذا عرفت أن معاهد الريف Village institutes بتركيا تقوم برصف بعض الطرق وإصلاح القديم منها ومد أنابيب مياه الشرب النقية ، ومقاومة الأمراض المتوطنة وبناء المغاسل الشعبية وتقديم التمثيليات الإرشادية الريفية على مسارح متنقلة ، وتفتح تلك المعاهد أبوابها للقرويين من جميع الأعمار طوال العام كمراكز ثقافية واجتماعية وصحية .

وللمؤسسات التعليمية الريفية دور هام فى مشكلة تخطيط القرية وتحسين منزل الفلاح (١٧) ففى مدرسة المعلمين الريفية بمنشأة القناطر الخيرية التى تقع على بعد ٢٢ كيلو مترًا من القاهرة قام طلبة المدرسة بأنفسهم ببناء نموذج مصغر لقرية زاروها فى جولاتهم ودرسوا عيوبها ، ثم قاموا ببناء نموذج آخر لقرية كما ينبغى أن تكون وتفرع عن هذا المشروع اختيار أحد المنازل الذى تمثل فيه جميع العيوب وبنوا مثيلا لهذا المنزل فى المدرسة بالحجم الطبيعى وبعد استيفاء دراسات صحية واقتصادية واجتماعية مختلفة قاموا ببناء

منزل آخر مجاور وبالحجم الطبيعى تتوافر فيه تكلفة رخيصة وباستخدام الخامات المحلية واوناء بالأغراض الصحية ، ودعى الفلاحون لبناء مثله وقد حدثت تجربة مماثلة على مستوى مدرسة إعداد المعلمين الريفية بالجمهورية السودانية الشقيقة فعمل طلبة معهد المعلمين الريفيين فى قرية بخت الرضا ليكونوا معلمين وقادة فى الريف السودانى ، ولا تختلف قرية بخت الرضا عن بقية قرى السودان التى يرجع إليها الطلاب بعد تخرجهم فى شىء إلا أنها أفضل من حيث النظافة وتستحدم فيها طرق الزراعة المستحدثة فى المزرعة والصناعات الزراعية وايدوية مع حسن استغلال خامات البيئة وتهيأت بذلك للطلاب حياة ريفية نموذجية نقلوا محاسنها بعد ذلك إلى قراهم الأصلية وعاش الطلبة والمدرسون فى بيوت صغيرة من اللبن « الطوب النئ » واعناية بها تامة بحيث يصلح كل عيب فيها أولا بأول ويسعى الطلاب فى تجميلها على الدوام ، وملحق بها ١٢٠ فدانًا ويقدم للطلاب الغذاء البسيط ويلبسون الجلباب و لعمامة ، ويجلسون فى الفصول على بسط من الخوص فرشت على الأرض وأمامهم تخت صغيرة بسيطة مفتوحة يضعون فيها أدواتهم ويستندون إلى سطحها عند الكتابة ، ويضعون عليها الكتب عند المطالعة ، ويتلقى الطلاب دروسًا عملية فى الحقل والمشتل والحديقة ومرابط المواشى وحظائر الدواجن ، ويمرن الطالب على كل لأعمال اليدوية التى قد يحتاج إليها فى المستقبل فى مدرسته أو بيئته

وقريته من نجارة أو بناء إلى بيع وشراء ، وقد نجحت التجربة نجاحًا ظاهرًا لالتزام جانب البساطة والحرص على أن تكون المدرسة ووسطها صورة حقيقية من الوسط الريفى الذى تقع فيه ، وقد قامت أيضًا تجارب تعليمية عديدة فى المجتمع الهندى على الصعيد الفردى ثم الوطنى ، إذ نبعت حركة التعليم الجديد Nai Talim الذى نادى به فيلسوف الهند ومعلمها غاندى ، وسميت بخطة وارها ، وتعتبر تلك الحركة فى الميدان التعليمى مكملة لحركة غاندى فى المجال السياسى وتقوم على تدريس المواد الدراسية المختلفة عن طريق المشروعات ، النشاط العملى والأعمال اليدوية والصناعات الريفية حيث يتعلم التلاميذ الغزل والنسيج والنجارة وعمل الحصير والفخار وحفظ الأغذية ، ويحتفل الطلبة سنويًا فى المدارس الريفية بيوم العمال ليتعودوا على احترام العمل اليدوى وبعض هذه المدارس فى الهند تكتفى ذاتيًا إذ تسد المزارع الملحقة بها الاحتياجات الغذائية للمدرسين والتلاميذ وبعض رواتب المدرسين . وبلغت مدارس أخرى مرحلة الاكتفاء الذاتى فى الغزل والنسيج ، ودلت هذه التجربة بنتائجها المتواضعة على إمكانيات التعليم الريفى فى النهوض بالمجتمع الريفى الثانى ، كما دلت على قوة الطاقة الكامنة فى التعليم الريفى التى أطلقت من عقالها وسلطت لحل مشاكل الحياة الرئيسية فى الريف من مأكل وملبس ومسكن وصحة شخصية وعامة . وأثر بالسلب على التجربة اتجاه المدرسة

لأن تصبح مؤسسة ذات طريق مسدود مغفلة الحراك الاجتماعى .
وقد قامت بعض المدارس الثانوية الزراعية فى مصر باقتراح وجبات متكاملة ومتوازنة لأهل الريف تشمل جميع المكونات الغذائية منها ما هو مطهى وما هو جاف ، ولم يكن ذلك بغريب لأنه فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وبالرغم من التقدم البارز الذى بلغته ورقى مستوى المعيشة فيها ، فقد قامت تجارب تربوية وظيفية فى عدة مدارس تقع فى مجتمعات ريفية منعزلة فى ولايات كنتاكى وفلوريدا وفيرفونت وقد تولت الإنفاق على هذه التجارب مؤسسة سلونSloan Foundation ، وقد استمرت التجربة ١٥ عاماً فى الستينيات ، وهدفها محاولة تحسين مستوى التغذية والمسكن والملبس وهى الحاجات الثلاثة الأساسية للإنسان ، التى يصرف عادة سكان البيئة الريفية ما يقرب من ٦٥ ٪ إلى ٨٥ ٪ من دخلهم على هذه الضروريات الثلاثة ، وقد كان كل ما حدث من تغير فى نظم وبرامج المدارس التى قامت فيها التجربة ، هو تزويد هذه المدارس بالكتب والنشرات التى تتناول موضوعاتها المشكلات والأساليب المختلفة للتغلب عليها ، فى حدود القدرات الاقتصادية لأولياء الأمور والتلاميذ فى حياتهم المعيشية ، مع شرح وإيضاح أسباب هذه المشكلات ، ولقد استتبع ذلك دراسة التلاميذ للمجتمع المحلى الذى يعيشون فيه ، وتعرفوا على العوائق الاقتصادية ، كما قامت المدارس بتزويد التلاميذ والتلميذات بالخبرات العلمية والعملية التى تتفق

وتطبيق المبادئ الاقتصادية فى المأكل والملبس والمسكن فى حياتهم الخاصة بالمدرسة وفى أسرهم ، ثم المجتمع الريفى الذى يعيشون فيه .

ولقد امتد نشاط هذه المدارس إلى أهالى القرى ، وحدث تجاوب واضح بين المدرسة والبيئة الريفية ، ولقد كان من نتيجة هذه التجربة أن تحسن مستوى التغذية والملبس والمسكن منعكسًا على صحة تلاميذ هذه المدارس ، إذ اختفت أمراض الأسنان والبلاجرا ، كما انتشرت زراعة الخضراوات وأكلها طازجة فى تلك المجتمعات ، بل إن محتويات مخازن ربات البيوت من الأطعمة قد تغيرت بحيث اشتملت على أغذية متوازنة وحدث تغيير واضح فى نظام الملبس ومستواه على تلاميذ المدارس وعلى أولياء أمورهم القرويين ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بتحسن مستوى المسكن ولقد أكدت تلك التجارب ، أن عملية تطوير المجتمع الريفى عملية لا تتكلف الكثير وأنها مسألة تلوين لبرامج المدارس الريفية ومناهجها بالصبغة الريفية ، بحيث تدور حول مشكلات الفرد والمجتمع القروى .

ومما لا يدع مجالا للشك أن مثل هذا البرنامج الضخم يتطلب أن تخرج المؤسسات الريفية إلى المجتمع الريفى وتدرس مشاكله الملحة دراسة ميدانية علمية موضوعية وتترجم تلك الأبحاث إلى مشروعات عملية يستفيد منها الفلاح مباشرة كبناء منزل محسن

أو حظيرة حديثة للدواجن ، أو تشر لفكرة تحديد النسل ، أو دق لطلمبة مياه نقية وتوزيع لشتلات خضروات وفاكهة ونباتات عطرية وطبية .

ولقد دلت الأبحاث على أنه لكى يسير جهاز العمل فى المؤسسات الريفية سيرًا منتجاً ومستمرا ، فلابد أن يبنى على أساس ديمقراطى ، فتؤلف لجان ونواد وجمعيات ومجالس داخل المدارس الريفية وخارجها مثل : لجنة للمزرعة ، وناد للحديقة ، وجمعية للصناعات الغذائية ، ولجنة منتجات الألبان ، وجمعية الاقتصاد الريفى ، ونادى المسح الاجتماعى ، ولجنة المصالحات ، ونادى محو الأمية ، وجمعية مكافحة الخرافات والبدع ، وجمعية الزكاة ولجنة الصحة ، ولجنة الخدمات العامة ، وجمعية التربية الرياضية ، وجمعية إحياء شعائر الدين ، ونادى لاحتفال بالأعياد القومية ، وجمعية الأشغال البيئية والصناعات اريفية ، ولجنة المعارض والمتاحف ، وجمعية المكتبات ، ونادى الموسيقى الريفية الشعبية .

وتقوم كل لجنة وجمعية ونادٍ بعمل مدروس ينفذ على مدى برنامج زمنى وبخطوات عملية محددة ، بحيث تعمل كل لجنة أو ناد أو جمعية تحت أشراف خبير يساعده القرويون من مختلف الأعمار مع طلبة المدارس الزراعية ودور المعلمين وغيرها .

وتحظى هذه البرامج بقرص عالية من النجاح ، لأن كثيرًا من الدول قد وصلت إلى نتائج بعيدة المدى فى إصلاح مجتمعاتها الريفية

وتحسين مستواها الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والصحى ، ولأن قوى الإصلاح فى مصر تعمل الكثير للنهوض بالقرية وسكانها إلى مستوى لائق ، وتقتضى مثل هذه البرامج تنسيق خدمات الوحدة الصحية ، مع المدرسة الريفية ، مع الوحدة المجمعة ، مع الوحدة الزراعية ، مع الساحة الشعبية ، مع الجمعية التعاونية ، مع المدرسة الثانوية الزراعية ، للوصول إلى خدمة الريف خدمة شاملة ومتكاملة ومتوازنة .

وفى هذا الصدد تلعب الأساليب التربوية بين الناشئين والبالغين دورها فى أقدار سكان الريف على التحرك التلقائى والتجمع الذاتى ، وإثارة همة جماعات أهل الريف لنبذ الاستسلام والضعة والعجز الصامت الرانى عليهم أحياناً .

ولا مندوحة أمام المصلح التربوى إلا أن تكون لديه القناعة أن التنمية الريفية من خلال العملية التربوية فى التعليم النظامى والتعليم الموازى (الإذاعة - الصحافة - التليفزيون - المسرح - السينما) هى عملية دينامية بعيدة المدى ، وهى لا تحدث بين يوم وليلة ، وأنها ليست استاتيكية فيما يتصل بأهدافها واستراتيجيتها وبرامجها ، ومن ثم ينبغى على مخططى البرامج الذين يستهدفون تدعيم الارتقاء بالريف ، أن يكونوا على صلة وثيقة بما يحدث فى مجال الريف كى يقدروا على تقديم ما قد يكون مطلوبا منهم فى المستقبل .